٨

أفرأيت الذى تولى

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾

[سورة الفلق]

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾

[سورة الناس]

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾

[سورة الإخلاص]

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝
وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾

[سورة النجم]

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾

[سورة القيامة]

obeikandl.com

«الرسـول فى فراشـه بداره بمكة.. وقد اشتد بـه مرض أمسـك بـه وطـال.. لا يعرف ولا مَنْ حولـه له كُنْهًا ولا سـببًا!!.. يعوده المسـلمون الأوائـل تباعًـا، فلا يـكادون يعرفـون للمرض الغريب علة تشفى قلقهم على الرسول أو تجيب على تسـاؤلاتهم.. يتحدث البعض أنه من سحر يهـود.. ومنهم مـن يتحدث بأنهم دسـوا عليه رجـلاً منهم يقال له لبيد بن أعصم.. دس السـم فـى بئر لبنى رزيق.. منهـم من ذهب ينزح الماء مـن البئر، ومنهـم مـن أخرج مـا يجرفـه منها.. لا يـكادون يسـتقرون على حـال.. يزيد مرض الرسول الذى طال من اضْطِراب قلوبهم، وشتات نفوسهم.. ولكن محمدًا عليه السلام لا يلتفت إلى شـىء من ذلك، ولايتجه إلا إلى ربه سـبحانه.. ماهـى إلا أيـام حتى يتنزل عليـه جبريل عليه السلام بكلمات ربه..

جبريل : (يتلـو على محمد).. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [سورة الفلق: الآيات: ١ـ ٥].

«مـا يـكاد محمد يردد بلسـانه مـا أتاه بـه جبريـل، حتى يوافيه..».

جبريل : (لمحمد) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾[سورة الناس: الآيات: ١ - ٦].

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى ﷺ خالد إلى تأملاته.. يعجب من عناد المشركين، وما يبتدعونه من مبتدعات لإعناته.. لا يتركون أحبولة إلا أشهروها، ولا شيئًا يظنون أنه يعجزه إلا أثاروه.. لا يكلون، ولا يهدأ شرهم عن افتعال الأفاعيل كل يوم.. هاهم يقولون له «انسب لنا ربك».. يظنون أن الله شخص مثلهم يرد عليه نسب ووصف.. يقول بعضهم إن نعته ووصفه سبحانه ورد فى التوراة، فلماذا لا يخبرهم عليه السلام من أى شىء هو ومن أى جنس أو نوع.. أهو من ذهب أم من فضة أم من نحاس؟!!!.. هل يشرب ويأكل كما يشربون ويأكلون؟!.. كيف آلت إليه الدنيا وممن ورثها.. وإلى من سوف يورثُها؟!..أليسوا يرثون ويورثون، فلماذا لا يرث الله ويورث الدنيا من بعده ؟!!.. تبًّا لهم ، ألهذا الحد وصل بهم سفههم وعبث عقولهم وشرود ضلالاتهم؟

محمـد فـى تأملاته ، يتنـزل عليـه الروح الأمين»..

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[سورة الإخلاص: الآيات: ١ - ٤].

(يرتفع الوحى)

* * *

«قريش وقد شنفت للوليد بن المغيرة واهتاجت بعد أن تسـربت إليها أنباء بأنـه آمن بمحمد، وتابعه علـى دينه، وأنه يتحـدث فى القرآن، ويمتدحـه، ويقـول فيه قولاً جميـلاً.. تأخذهم الدهشة والغضب.. يجمعون وفدًا منهم ويلحقون بالوليـد بـن المغيرة بمجلسـه بظاهـر الكعبة.. يبتدرونه معايرين»..

قرشى : (معايرًا) لمَ تركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت ما يزعمه محمد أنهم فى النار؟!

الوليد : إنى خشيت عذاب الله!

قرشى آخر : (مرددًا فى استنكار) خشيت عذاب الله؟!.. ما هذا؟!!

قرشى ثالث : (مقاطعًا) هل لك فى عطاء، وتعود إلى ديننا، ونتحمل عنك عذاب الله؟!

«يبدو التردد والنكوص على وجه الوليد..».

القرشى الأول : (معاتبًا) ألم تكن قد مدحت القرآن الذى يدعى محمد

أنــه يتنزل عليه، وقلت فيه كلامًا جميلاً.. (يستأنف) هل سحرك محمد؟!

«يحاصره القرشيون بالعتاب والمعايرة، فلا يقدر على مناوءتهم.. ينهزم أمامهم فينكص ويعطيهم عهدًا بألاّ يعود إلى ما كان يمتدح به القرآن.. يرضى القرشيون بنكوصه، ويرتاحون إلى ما أعطاهم من عهد.. ينصرفون عنه، بينما هو جالس وكأن على رأسه الطير.. لا يدرى إلام نكص، ولا لماذا سلم لهم بما يريدون... يمضى مهمومًا مضطرب النفس والفؤاد على ما كان منه من عهد بالنكوص والإمساك عن امتداح القرآن!».

* * *

«محمد فى خلوته يتعبد.. يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النجم: الآيات: ٣٣ - ٤١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«محمـد وحوله بعـض رؤوس قريش.. فيهم عتبة بن ربيعة، وشـيبة بـن ربيعة، وأبوجهل عمرو بن هشـام، والعباس، وآخرون من سـادة قريش.. وقد اشتد بينهم الحوار.. النبى لا يزال يرجو إقناعهم عسـى أن يهتـدوا إلى نور اليقين ويسـلموا.. يحاورونه ويـرد عليهم ويبين لهم.. يدعوهم بحرارة إلى الإسلام رجاء أن يسلم غيرهم بإسـلامهم.. وإذ هم فى حوارهـم يقترب ضرير بسـيط هـو ابـن أم مكتوم يتـوكأ على عصاه.. يحـاول أن يتلمـس طريقه.. تملـك عليه رغبته فـى الوصول إلى النبى كل نفسـه.. لا يرى ماذا يجـرى، ولا ماذا يتغيـاه النبى.. فلا يحفل بما يتناهـى إلى سمعه مـن حوار سـاخن، فيقتحم الحديث الجارى مقاطعًا»..

ابن أم مكتوم : (معاجلاً) يا محمد.. استدننى..

يارسول الله أرشدنى.. علمنى مما علمك الله..

«النبى منشـغل فى حديثه، يبدو غير مرتاح لهذه المقاطعة.. وابن أم مكتوم ماض فى إلحاحه ونداءاتـه لا ينى ولا يتمهـل ولا ينتظر.. ينادى، ويكثر النداء.. يبـدو الضيق والعبوس على محيا النبـى وقـد كان يأمل أن يلـين لدعوته صناديد قريش..»

«بـدار النبـى عليه السـلام، وقـد آب إلـى

خلوتـــه ..لا يكاد يخلو إلى نفســه حتى يوافيه الروح الأمين بكلمات ربه»..

جبريل : (يتلــو على محمــد) ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ [سورة عبس: الآيات: ١ - ١٠].

(يرتفع الوحى)

«يخرج النبى عليه الســلام وجلاً آسيًا يتلمس ابــن أم مكتوم.. لا ينى حتى يجده.. يقبل عليه النبى حانيًا.. يناديه ، ويترفق به.. يســأله عن حاجته، ويجيبه.. ويفيض عليه ببرّه وعطفه..»

«الأيــام تمضى، والنبــى لا تفارقــه حفاوته بابــن أم مكتــوم ـ لا يراه إلا ويبســط له رداءه.. ويقول له: مرحبًا بمن عاتبنى فيه ربى.. هل من حاجة فأقضيها لك؟»

* * *

«مكة.. سنوات المبعث. دعوة الإسلام تمضى قدمًــا ـ ببطء، ولكن بخطوات واثقة.. تتســامع قريش فــى وجل وترقب وتوجــس بالأنباء التى تأتيهــا ما بين يوم وآخر عن إيمان واحد أو أكثر من الأشراف أو من العبيد والمستضعفين.. تتسامع فى ترقبها وقلقها بما يتنزل على محمد من قرآن..

فى هذه الفترة الأخيرة يتلاحق نزول الوحى على الرسول عليه السلام.. يوافيه الروح الأمين بسور الشمس، ثم البروج، ثم التين، ثم قريش، فالقارعة.. تلفت أنظار المتلقين إلى ما يحفل به الكون من آيات قدرة ووحدانية الخالق.. ما فى الشمس، وضحاها.. وما فى القمر إذا تلاها.. والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها.. والسماء وما بناها... والأرض وما طحاها، ونفس وما سواها سبحانه فألهمها فجورها وتقواها.. السماء ذات البروج، واليوم الموعود.. وقصص أصحاب الأخدود.. القسم بالتين والزيتون وطور سينين، والإنسان الذى سواه الله فى أحسن تقويم، ثم رده أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. وقريش، كيف لا يعبدون رب البيت العتيق، الذى أطعمهم سبحانه من جوع وآمنهم من خوف.. ألا يدرك الناس القارعة، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهْن المنفوش.. يوم يحمل الإنسان إلى ربه موازينه، من ثقلت.. فهو فى عيشة راضية، ومن خفت فمآله إلى الهاوية: النار الحامية.. يتلاحق نزول الآيات على محمد، فيخشى أن يفوته سهو أو نسيان.. إذا نزل عليه الوحى، يبادر فيحرك لسانه بما نزل عليه من قرآن، يريد أن يحفظه.. وإذ هو فى حرصه الحريص على حفظ التنزيل الحكيم، يحرك به لسانه وشفتيه مخافة

أن ينفلت منه أو يفوته شيء.. تأتيه كلمات ربه حانية مطمئنة لتفرخ روعه وتسكن نفسه.. يتنزل عليه جبريل عليه السلام بسورة القيامة، فيلقنه مما لقنه منها من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد).. ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[سورة القيامة: الآيات: ١٦ - ١٩].

(يرتفع الوحى)

* * *

«الحكم بن أبى العاص فى داره بمكة، بادى الثورة والهياج وقد بلغه أن عثمان ابن شقيقه عفان.. قد صبأ وآمن بمحمد.. يدخل عليه عثمان ملبيًا استدعاءه له، فيبادره الحكم فى غلظة فيشد وثاقه ويهدده بأن يرجع عما هو فيه.. أو ليعذبه ويعصف به..».

الحكم بن أبى العاص : (ثائرًا) أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟!!
واللات والعزى لا أحلك أبدًا حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين!!

عثمان : (لعمه فى هدوء وثقة) والله لا أدعه أبدًا ولا أفارقه.. ما أنا عابد أصنامًا بعد أن شرح الله صدرى للإسلام، فقد وجهت وجهى للذى خلق السموات والأرض!

«الحكم بن أبى العاص يثور ثورة عارمة، فيدعو إليه رجاله ويأمر بحبس عثمان وتقييده بالحديد، وحرمانه من الطعام والشراب.. الرجال

ينفذون أوامره وعثمان لا تفارقه رباطة جأشه، ولا أدبه المعروف عنه.. يزداد غيظ الحكم !!».

الحكم : (مهددًا وهو ينصرف) ستظل هكذا حتى تعود إلى رشدك، وترجع إلى ملتنا!!!

«عثمان لا يبالى.. تمضى أيام ولا تفلح سياسة الحكم، ويدرك أنه لا حيلة له مع ابن شقيقه.. فيأمر بإطلاق سراحه.. يلحق عثمان بالمسلمين فرحًا بينما القرشيون يزدادون غمًا وكربًا!!»

* * *

«مكة.. وقريش قد بدأت حملة شعواء لملاحقة كل من يسلم.. لم تكتف بمطاردة وتعذيب المستضعفين، وإنما أخذت تطارد من يسلم من أبنائها.. ما كادت حمنة بنت سفيان بن أمية، أم سعد بن أبى وقاص تعلم بأن ابنها سعدًا قد أسلم، حتى تثور ثائرتها.. حمنة بالدار مطرقة مغيظة – ما يكاد سعد يدخل عليها حتى تبتدره ثائرة ...

حمنة : يا سعد، بلغنى أنك قد صبوت!

سعد : يا أمى ما صبوت، وإنما أتيت محمدًا الصادق الأمين فآمنت بأنه رسول الله ليهدينا إليه بدلاً من عبادة أحجار لاتضر ولا تنفع!

حمنة : (وقد ازدادت ثائرتها) إننى بريئة منك! فواللات والعزى، لايظلنى سقف بيت من الضخ (الشمس) والريح.. ولأقومن

فـى العـراء ليلاً ونهـارًا، ولا آكل ولا أشرب، حتى تأتينى الإبل، أو تكفر بمحمد وترجع إلى ما كنت عليه..

سعد : (مترفقًا) يا أماه، ما كنت بالذى يكفر بعد أن هدانى الله!

حمنة : واللات والعـزى، ما آكل ولا أشرب حتى ترجع عما أنت فيه..أو أموت فتعير بى!

سعد : بالله لا تفعلى يا أماه.. فإنى لن أدع دينى.. لا تطمعى أن تردينـــى إلى الضلال بعد الهدى، وإلى الكفر بعد الإيمان ! فوالله الذى لا إله غيره لا أترك هذا الدين أبدًا!

«ينصرف سعد بادى القلق على أمه، ولكن لا يختلج له يقين..».

* * *

«بعد يوم بدار ســعـد بن أبى وقاص.. يجلس إليه قرشى من أقربائه..».

القرشى : (فـــى إلحـــاح) ألا تترفـــق بأمـــك يـــا ســـعد.. ألا ترحم شيخوختها؟!

سعد : والله ما أعلم ابنًا أبر بأمه منى.. أما هذا الذى تريده فلا..

القرشى : لقد أشـــرفت أمك على الهلاك.. ألا تعلم أنها صامت عن الطعام والشراب منذ البارحة؟!!..

سعد : والله ما كنت أحب لها أن تفعل بنفسها ذلك!!..

القرشى : فما منعك إذن من أن ترضيها يا سعد ؟! لقد صبرت على تربيتك منذ وفاة أبيك.. كانت لك أمًا رؤومًا!!

سعد : أتريدنى أن أرجع عن إسلامى بعد أن هدانى الله لأرضيها؟!!

أبدلاً من أن أهديها أعود أنا إلى الكفر؟! (مستطردًا).. لن أبيع إيمانى ودينى حتى ولو كلفنى ذلك حياتها!!..

القرشى : على رسلك!!..

«ينصرف القرشى مغاضبًا..»

* * *

«بدار سعد.. بعد يوم آخر..»

القرشى : لقد أشرفت أمك يا سعد على الموت .. إن حالتها تذيب الصخر!!

سعد : (فى إصرار) لن أدع دينى بعد أن هدانى الله..

القرشى : (يزداد إلحاحًا ورجاءً) إنها تعانى سكرات الموت!!

سعد : وماذا أصنع.. ما تطلبه محال؟!.. قد حاول أخى أن يطعمها بالقوة فأبت!..

القرشى : لعلك تنجح فى إثنائها يا سعد.. تعلم كم تؤثرك !

سعد : ذلك فنعم.. أما ما تريده ، فبينها وبينه ما بين السماء والأرض..

* * *

«فى إحدى غرف الدار.. أم سعد بادية الوهن فى الفراش.. يدخل عليها سعد..

سعد : (فى عطف) ألا تأكلى يا أماه.. لقد أشرفت على الهلاك!!

حمنة : (لائمة فى وهن) إذن عد إلى دين آبائك وأجدادك يا ولدى..

سعد : (فى إصرار حنون) قلت لك مرارًا يا أماه إننى لن أترك الإسلام، فارجعى عما أنت فيه..

حمنة : (فى عناد واهن) لتتركن دينك، أو لا آكل ولا أشرب إلى أن أموت.. فَتُعيّر بى!!

سعد : (فى إصرار) تعلمين والله يا أماه.. لو كانت لك مائة نفس، فخرجت نَفْسًا نَفْسًا، ما تركت دينى هذا لشىء.. إن شئت فكلى – وإن شئت، فلا تأكلى!!..

* * *

«بظاهر الكعبة.. سعد بن أبى وقاص جالس بمفرده.. يقترب منه قريبه القرشى بادى السرور..

القرشى : أبشر يا سعد.. لقد رجعت أمك عن عنادها.. وأكلت..

سعد : ما كنت بالذى يترك دينه.. مهما كان.. أو يكن!!..

* * *

«بعد فترة.. محمد عليه السلام فى خلوته يتعبد ويتهجد.. يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمد).. ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة لقمان: الآيات: ١٤ – ١٥]..

(يرتفع الوحى)

* * *